

العمال المهاجرون و"الوداديات"

ان هجرة العمال المهاجرين الى فرنسا التي ابتدأت مع عهد الحماية، قد عرفت نموا ملحوظا في بداية الستينات. ويبلغ حاليا عدد المهاجرين في أوروبا ٥٥٣.٠٠٠ منهم ٣٧٠.٠٠٠ يوجدون في فرنسا (١). وأغلبهم من أصل فلاحى، وهذه الظاهرة تعتبر نتيجة مباشرة للوضع الاقتصادى والاجتماعى والسياسى السائد في البلد الام.

ان الاجراءات المتخذة من طرف النظام المغربى خلال العشرين سنة الماضية، قد عملت على خلق "اوليغارشية" حقيقية، استحوذت على اراضي المعمارين وكل الاراضي الخصبة ذات المنتوجات الجيدة التي تصدر الى الخارج.

ان النتيجة المباشرة لهذه السياسة التي يصفها البارودى بعملية "تحطيم الرصيد الفلاحى"، هي الهجرة المكثفة للفلاحين المسلوبين من ارضهم، نحو أوروبا، او نحو المدن الكبرى بالمغرب. ولا شك ان النمو الاقتصادى الذى عرفته أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، والحاجة المتزايدة لليد العاملة التي ترتبت عنه، قد وجد تربة خصبة في جمهور هؤلاء الناس المحرومين من الارض والعمل، مضافا اليهم جمهور العاطلين والشباب المطرود من المدارس.

وهكذا، توافدت على البلاد مئات من ممثلي الشركات الاجنبية (والفرنسية منها على الخصوص) "لاختيار" اليد العاملة من أجل تشغيلها في شركاتهم، كما تمت تبعا لذلك، المتاجرة والرشوة، بحيث ان مجرد التسجيل في قوائم الانتظار كان يكلف مائة درهم، في حين ان الحصول على جواز السفر كان يقتضى دفع رشوة قد تبلغ ٣.٠٠٠ درهم.

ان هؤلاء الالاف من العمال الذين تم تصديرهم بهذه الطريقة، اى بدون اية ضمانة، هم المهددين اليوم بالقوانين التعسفية الجديدة حول الهجرة في أوروبا.

وفي الوقت الذى يطرح فيه

كلود ماتييو

العديد من رؤساء الدول، في مناقشاتهم مع الحكومة الفرنسية، المشاكل الخطيرة التي يتعرض لها عمال بلدانهم المهاجرين، فان السلطات المغربية تتجاهل كامل التجاهل هذه المشاكل. فالحسن الثاني الذى اقام عدة اسابيع في فرنسا، لم يتناول لا من قريب ولا من بعيد مشاكل العمال المهاجرين المغاربة بفرنسا.

ان العمل الوحيد الذى تقوم به الحكومة المغربية تجاه مشاكل الهجرة هو من جهة تشجيع جلب العملة الصعبة عن طريق شبكة من وكالات "البنك الشعبى" بالمغرب وفي الخارج. ومن جهة ثانية محاولة "تأطير" العمال عن طريق القنصليات والسفارات اولا، وعن طريق "وداديات العمال والتجار المغاربة" ذات الطابع البوليسى والتي تم تأسيسها سنة ١٩٧٣.

ان السلطات المغربية قد استهدفت من وراء تأسيس هذه "الوداديات" الاقبال على عملية تأطير بوليسى واسعة النطاق، وذلك لسببين اساسيين:

● تطور وعي العمال المهاجرين بحالة الاستغلال المزدوج الذى يتعرضون له، واقبالهم على الانخراط بشكل متزايد في النضالات النقابية التي تخوضها الطبقة العاملة في البلد المستقبل. ومع تواجد المنظمات السياسية التقدمية المغربية في المهجر، فان هذا الوعي الاجتماعى، قد اخذ يتطور نحو وعي سياسى يكشف عن الاسباب الحقيقية للهجرة، والتي تكمن اساسا في السياسة التبعية التي يנהجها النظام المغربى. وان تعمق هذا الوعي بشقيه النقابى والسياسى كان من شأنه أن يزعج الطبقة الحاكمة التي حرسحت منذ الاستقلال الشكلي على خلق أبسط الحريات الديموقراطية.

● الوضع السياسى في ذلك الظرف، والذى كان عاملا حاسما في خلق "الوداديات". فخلال صيف ١٩٧٣، وفي الوقت نفسه الذى انعقد فيه المؤتمر التأسيسي لـ "الوداديات"، كان الشعب المغربى، وقواه المناضلة، يتعرض لحملة قمعية لم يسبق لها مثيل.

لقد كان النظام المغربي، آنذاك يعاني من عزلة تامة على الصعيدين الداخلي والخارجي، بعد أن تعرض لمحاولتين انقلابيتين (يوليو ١٩٧١ وغشت ١٩٧٢) هزتا أركانه وزادت في ضعفه. كما عمل المد النضالي الجماهيري المتصاعد على تعميق هذه العزلة والضعف على المستوى الداخلي. فشرع النظام في حملة قمعية هستيرية لم يسبق لها مثيل: منع الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، حظر الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، تقديم مئات المناضلين للمحاكم، صدرت في حقهم أحكام قاسية بما فيها العديد من الأحكام بالإعدام. وكان ضمن المعتقلين عشرات المهاجرين، من بينهم المناضل أخيش الحسين، عامل مهاجر بهولندا، والذي حكم عليه بثلاثين سنة سجنا ..



المناضل أخيش الحسين

في هذا الظرف بالذات، جندت جميع الوسائل للتمجيد بفضائل صاحب الجلالة الذي يهتم بمشاكل "رعاياه" في الخارج، ويقدم لهم "الوداديات" لمساعدتهم على حل مشاكلهم... لكن الهدف الحقيقي من وراء هذه العملية كان واضحا منذ البداية. ان الامر يتعلق بـ"تأطير الجالية المغربية في الخارج والحيلولة دون أن تمسها العدوى" على حد تعبير سفير المغرب

بفرنسا آنذاك، أي بمعنى آخر مراقبة كل التحركات النقابية أو السياسية التي يمكن أن يشارك فيها المغاربة، ورشم كل العناصر النشطة. ولقد أكدت الاحداث بسرعة هذه الخلفيات والنيات المبيتة.

فمنذ تأسيسها، اشتهرت "الوداديات" بعلاقاتها الحميمة والمشبوهة مع أرباب العمل، ومع النقابة الفاشية "سي. اي. إف. تي" (٢) . وبلغ هذا التنسيق الثلاثي الى درجة أن العمال المغاربة يجبرون في بعض المعامل على الانخراط في "الوداديات" و"سي. اي. إف. تي" كشرط لا محيد عنه للحصول على العمل .

واستعملت "الوداديات" كل الوسائل الممكنة من تهديد وترهيب، لاجبار العمال على الانخراط. ففي فترة ما أطلقت اشاعة تقول بأن أي عامل مهاجر لا يمكنه دخول بلاده لقضاء عطلة الا اذا قدم للجمارك المغربية بطاقة العضوية في "الودادية"... وكان هذا مناسبة عند بعض مستخدمي الجمارك، لاستغلال العمال واختلاس بعض الدراهم منهم كرشوة تسمح بالعودة الى البلاد

وذا كان بعض العمال قد اغتروا بكل الوعود التي تقدمها لهم "الوداديات" كإمكانية الحصول على قطع أرضية في المغرب، فان العديد من المهاجرين قد اكتشفوا الحقيقة، وذهب البعض منهم الى حد تمزيق بطاقة العضوية أمام المسؤولين .

ولقد انفضح دور "الوداديات" البوليسي بوضوح سنوات ١٩٧٦ و١٩٧٧ حين تم اعتقال العديد من العمال المناضلين في صفوف نقابة "سي. جي. تي" (٣) أو ممثلين نقابيين للعمال أو مرشحين لانتخابات الممثلين .

وهؤلاء العمال كلهم تم استدعائهم من طرف السفارة المغربية بباريس واستنطاقهم عن انتمائهم النقابي، وذلك بعد أن فشت بهم "الودادية" والنقابة العميلة "سي. اي. إف. تي". وحين دخولهم الى المغرب لقضاء عطلتهم الصيفية، تعرضوا

للاعتقال في أماكن سرية، دون أن يصدر في حقهم أمر رسمي بالاعتقال، كما أنهم مكثوا بهذه المعتقلات السرية عدة أسابيع تعرضوا خلالها للتعذيب والتنكيل . ولقد أكدت شهادات هؤلاء العمال - الذين آزرهم ودافع عنهم شارل ليدرمان المحامي لدى محكمة باريس - وجود معتقلات سرية لا تخضع لاية قوانين أو مراقبة قضائية .

وفي بلادنا - فرنسا - يتعرض هؤلاء العمال المهاجرين لشتى الممارسات القمعية واللاتسانية، بدءا بالعنصرية، وانتهاء بإجراءات الطرد التعسفية. واذا ما حاولوا تنظيم أنفسهم للدفاع عن حقوقهم يتم فوراً اخبار القنصليات... لكن رغم هذا التعاون الوثيق بين السلطات المغربية والفرنسية فان العمال المغاربة قد تمكنوا، بمساعدة المنظمات الديمقراطية الفرنسية، من عزل الوداديات في بعض المناطق وأحيانا القضاء على تنظيماها .

واذا كان الطابع البوليسي المفضوح للوداديات قد جعل البلديات في بعض الدول الأوروبية ترفض أي تعامل معها، وتمنعها من الحصول على مقراتها وقاعاتها، فان الامر ليس كذلك في فرنسا حيث تحضى الوداديات في بعض المدن برعاية البلديات وتتمتع بمقراتها... وبالتالي فان تضامن العمال المهاجرين والعمال الفرنسيين هو وحده الكفيل بالقضاء على هاته المنظمات البوليسية - الوداديات - التي تحضى بدعم الحكومة الفرنسية وممثلها. ■

(١) عبد الله البارودي - "المغرب: الهجرة والامبريالية" - سيكومور ١٩٧٨ .

(٢) (سي. اي. إف. تي) الكونغفدرالية الفرنسية للشغل سابقا والكونغفدرالية الحرة للشغل حاليا، مشهورة بتواطؤها مع أرباب العمل والبوليس .

(٣) (سي. جي. تي. سي) الكونغفدرالية العامة للشغل .